

المحاضرة السادسة عشرة

المجاز المرسل واثره في تنوع المعنى

والمشترك اللفظي عند المحدثين

أ. توسيع المعنى: كما حدث للفعل ((ساق)) في التعبير القديم: ساق الرجل الى المرأة مهرها. فقد كان ذلك حقيقة حينما كان المهر من نوع الحيوانات. ولكن بعد أن تغيّر العرف وصار المهر نقوداً أعطى الفعل معنى أوسع واحتفظ بحيويته.

ب. تضييق المعنى: مثل لفظ ((المأتم)) الذي كان يستعمل في الحقيقة ويراد به اجتماع الرجال أو النساء في مناسبة حزينة أو سعيدة. ثم استعما فيما بعد في المناسبة الحزينة فقط.

ج. السببية: مثل كلمة ((الإثم)) التي تعني الذنب، ثم أصبحت فيما بعد مرادفة لكلمة المر فأصبح لكلمة ((الإثم)) معنيان مختلفان أحدهما سبب في الآخر.

د. إطلاق اسم الجزء على الكل: مثل كلمة اللسان التي تعني العضو المعروف، ثم صارت تستعمل كذلك في معنى المتحدث الرسمي أو المتكلم عن قومه.

هـ. إعطاء الشيء اسم مكانه: كما حدث في كلمة الراوية التي كانت تعني الجمل الذي يحمل قرية الماء، ثم أصبحت تعني القرية نفسها.

ب. عند المحدثين:

أنواع المشترك اللفظي عند المحدثين:

من الممكن التمييز بين الانواع الأربعة الآتية عند المحدثين:

١. وجود معنى مركزي للفظ تدور حوله عدة معان فرعية أو هامشية.

٢. تعدد المعنى نتيجة لاستعمال اللفظ في مواقف مختلفة.

٣. دلالة الكلمة الواحدة على أكثر من معنى نتيجة لتطور في جانب المعنى.
٤. وجود كلمتين يدلُّ كلُّ منهما على معنى، وقد اتحدت صورة الكلمتين نتيجة تطور في جانب النطق.

١. اما النوع الأول فقد أفاض في توضيحه Nida في كتابه المشهور

Componential Analysis of Meaning

وقد ذكر أن المعاني الفرعية أو الهامشية تتصل بالمعنى المركزي وبعضها ببعض عن طريق وجود عناصر مشتركة وروابط من المكونات التشخيصية^(١). والمعنى المركزي عنده هو الذي يتصل بمعنى الكلمة إذا وردت منفردة مجردة عن السياق، وهو الذي يربط عادةً المعاني الاخرى الهامشية.

٢. والنوع الثاني قريب من النوع الأول، وقد ورد في تقسيم Ullmann^(٢) للمشارك اللفظي، وسمّاهُ ((تغييرات في الاستعمال))^(٣) أو ((جوانب متعددة للمعنى الواحد)). وقد ضرب مثلاً لذلك كلمة wall (حائط)^(٤) التي تتنوع مدلولاتها بحسب مادتها (حجر - طوب...) ووظيفتها (حائط في المنزل، أو بوابة...) وبحسب خلفية المستعمل واهتمامه (بناء - عالم آثار - مؤرخ فنون...).

٣. اما النوع الثالث وهو دلالة الكلمة الواحدة على اكثر من معنى نتيجة لاكتسابها معنى جديداً أو معاني جديدة فقد سمّاهُ اللغويون البوليزيمي polysemy^(٥) ويمكن

(١) ص ١٣٠.

(٢) في كتابه The principles of Semantics.

(٣) Shifts in application

(٤) ومثلها كلمة (رسم) عند مدير الفندق وعند تاجر الفاكهة وعند الفلاح.. (اللغة لفندريس، ص ٢٥٨).

(٥) Poly = كثير أو متعدد وsemy = معنى (أنظر: دور الكلمة في اللغة، ص ١١٥).

أن يسمى كذلك: ((تعدد المعنى نتيجة تطور في جانب المعنى))، أو ((كلمة واحدة - معنى متعدد)).

ويرى أولمان أن هناك طريقتين رئيسيتين تتبعهما الكلمات لاكتساب معانيها المتعددة:

أ. التغيير في تطبيق الكلمات واستعمالها، ثم شعور المتكلمين بالحاجة الى الاختصار في المواقف والسياقات التي يكثر فيها تكرار الكلمة تكراراً ملحوظاً، ومن ثم يكتفون باستعمالها وحدها للدلالة على ما يريدون التعبير عنه. غنه ليس من الضروري مثلاً - بل لعله مما يوجب التندر - أن تنص وانت في مستشفى على ان العملية المشار إليها في الحديث عملية جراحية زانها ليست عملية استراتيجية أو صفقة تجارية في سوق الأوراق المالية.

ب. وهناك طريق أقصر من هذا يؤدي الى نفس النتيجة وهو الاستعمال المجازي أو نقل المعنى. فكلمة crane تعني في اللغة الانجليزية طائر الكركي ثم استعملت استعمالاً مجازياً للآلة المعروفة بالرافعة. كما يمكن التمثيل لهذا النوع بكلمة ((السان)) التي صارت تطلق على اللغة. فإن إعطاء اسم العضو للنشاط الذي ينتجه لا يوجد فيه تغيير في الاستعمال، وإنما هو نقل المعنى.

ويشترط Schoff لتحقيق هذا النوع وجود علاقة مشابهة بين المعنيين. ولهذا يخرج منه كلمات الأضداد لأن كلمات الأضداد لا توجد بينها علاقة مشابهة. أما Ullmann الذي يرى أن كلمات الأضداد تشكل تطوراً في المعنى غالباً فقد ادخل الأضداد في هذا النوع^(١).

(١) أنظر في قضايا اللغة والنحو ، ص ٢٥، ودور الكلمة في اللغة، ص ١١٧، ١١٨، وأنظر أيضاً كتاب Introduction to Semantics: Adam Schoff في مواضيع متعددة.

ويمكن التمثيل لهذا النوع من اللغة العربية بالفعلين: قال يقيل، وقال يقول حينما يستخدمان في الماضي أو بصيغة اسم الفاعل. وكذلك بالفعلين ضاع الشيء يضيع وضاع (المسك) يضيع. وكذلك باسم الفاعل من الفعلين سال وسأل. ومن أمثله في العامية المصرية:

أ. كلمة ((قلم)) التي تتطق ((ألم)) فتطابق كلمة ((ألم)) التي همزتها غير مبدلة.
ب. كلمة ((إثم)) التي تتطق ((إسم)) فتطابق كلمة ((اسم)) غير المبدلة عن شيء.
ج. كلمة ((قمر)) التي تتطق ((أمر)) فتطابق كلمة ((أمر)) غير المبدلة عن شيء.
لكن معظم اللغويين على الفصل بين البوليزيمي والهومونيمي، وإن لم يحدث اتفاق على وسيلة التمييز بين النوعين. وأهم ما طُرِحَ من آراء حول هذا الموضوع يتلخص فيما يأتي:

١. إذا كانت كلمات المشترك اللفظي تملك نفس النطق ولكن بهجاء مختلف (مثل hair مع heir ، و reed مع read ، و pear مع pair مع pare) فإنَّ اختلاف الهجاء يكفي لجعل الكلمات من نوع الهرمونيمي^(٧).
ومع هذا وجد من اللغويين من تشكك في صدق هذا المعيار قائلاً أن هناك من الكلمات ذات الهجاء المختلف ما يمكن ردهُ الى أصل واحد. ومثل لذلك بلفظي flower و flour اللذين يختلفان معنىً وهجاءً ويردان الى أصل واحد لاتيني أو فرنسي^(٨).

(٧) Componential Analysis ، ص ١١٧.

(٨) New Trends ، ص ١٣٤. ويعيب هذا المعيار كذلك أنه لا يتلائم مع الدراسة التزامنية ولا يمكن استخدامه مع اللغات غير المكتوبة، أو المفردات التي لا يعرف تاريخها (Semantics Fields ، ص ٨).

٢. أما إذا كانت الكلمة تملك نفس النطق والهجاء وتتعدد معانيها فقد اقترحت الوسائل الآتية:

أ. اللجوء الى المعيار الدلالي: فإذا لم توجد علاقة دلالية بين المعنيين فلا مشكلمة لأن كلاً منهما كلمة مستقلة حدث بطريق الصدفة أن تملك نفس النطق والكتابة. أما إذا وجدت العلاقة أو المشابهة فهما كلمة واحدة تطورت إما تطوراً بطيئاً بمرور الوقت، أو سريعاً عن طريق المجاز.